

حوار حول الوهم

شخصيات المحاوره

صونيا: صاحبة المنتدى الأدبي، سيدة ثرية جميلة مثقفة.

سليمان: مثقف يحمل لواء العقل وسيادة قوانينه.

حسام: شاعر مبدع يملك ثقافة موسوعية، محبط.

جورجيت: موظفة في شركة اتصالات.

ميرفت: مرشدة سياحية.

ماري: أخصائية تجميل.

منير: باحث في علم الأديان.

صونيا: بين عقولنا وأوهامنا حرب داحس والغبراء لا تستطيع الأوهام الصمود طويلاً إذا توجهت نحوها أنوار العقل المنطقي والعقل النقدي، ولكن الشعوب التي صادرت عقولها سلطاتٍ مستبدة تعاقبت عليها منذ مئات السنوات ماذا عساها تفعل غير الهروب الى عالم الخواطر والأوهام، والتمادي في ذلك حتى تصل الى مرتبة التحشيش الخيالي، وتتلذذ الإدمان على هذا النوع من التحشيش.

سليمان: إنّ حياة الإنسان هي مزيجٌ من العقل والوهم، إنها جدلية دائمة بين ما هو عقلائي وما هو وهمي، بين ما هو واقعي وما هو غيبي، بين ما هو ديني وما هو دنيوي.

جورجيت: إنّ الإهتراء في السلطات السياسية الذي يسببه البذخ والترف والفساد والمحسوبيات والإستزلام وعبادة الشخص، يؤدي بالضرورة الى بؤس إقتصادي وإجتماعي، يدفع الناس البسطاء الى التعلق بأوهام خيالية تجعلهم يبنون قصوراً من الذهب المرصع بالجواهر، والمملوء بكل ما لذّ وطاب من ملذات الحياة الدنيا من نساء مطهرات كالدمى يتقنّ العزف والرقص والغناء والغنج والدلال والإغراء، وغلمان يدورون بكؤوس خمورها الإنتعاش والنشوة فلا صداع ولا إغفاء. إنهم البسطاء الذين يأكلون الخبز الأسود ويحلمون بالموائد العامرة، ويعاشرون النساء الحافيات الأقدام الممسوحات الأتداء المتشققات الشفاه ويحلمون بالجواري العين التي تحاكي عيونهن زهور النرجس وقاماتهن أشجار النخيل.

حسام: كل نظام سياسي جوهره الإستبداد وسلطة الفرد مصيره الحتمي الفساد ثم الإهتراء، فالحقيقة لم تكن يوماً من الأيام فردية بل هي مناخ ونتاج له طابع جماعي، والبطولة أيضاً لا تكون فردية، وهي لا تنمو وتؤتي ثمارها إلا بعد خروج الناس من الباطل وبقائهم بعيداً عن أحابيل المتلاعبين بالعقول.

ماري: ولكن كلمة باطل لا توحى للمستمع إلا بالخطايا التي لا يفتأ أصحاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقدمون لها الإستعراضات التي تنافس إستعراضات لاس فيغاس في أساليب الإغراء، هناك عبر الترغيب وهنا عبر الترهيب.

منير: رأس الباطل برأبي هو الكذب، ورأس الكذب هو إغتصاب فرح الحياة وبهجة الإنفتاح والتفاعل والتحاور وقدح العقول ببعضها وكذلك قدح العواطف والأحاسيس؟

ميرفت: مسكين الإنسان العربي، سجنوه في قفص الأوامر والنواهي، ثم أعطوا القفص صفة القداسة وجعلوه شيئاً أنعمت فيه السماء على أهل الأرض كرمأ خالصاً دون منةٍ أو شكور، إنه أقصى درجات الكرم أن يتخلى المرء عن خيرات الدنيا وجمالياتها وملذاتها من أجل الحصول على ملذات الآخرة التي لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، إنه أقصى درجات الكرم من الحكام الذين يصادرون كل الخيرات والبركات الأرضية لكي يطهروا رعاياهم من شؤون الحياة العرضية، ليتصفي جوهرهم الإنساني ويستحقوا ولوج فردوس الآخرة بلطفة الظل أو بلطفة الأوهام.

صونيا: خصّ الله الإنسان من جميع مخلوقاته بقبسٍ من نور ذاته هو العقل والحرية، ليجعل منه شريكاً في الخلق والإبداع، وكذلك شريكاً في المسؤولية، أي ليجعل منه كائناً غائياً بعيداً عن العبث من جهة والجمود والتصنم من جهة أخرى، ولكن الإنسان خاف من عقله، شكّ بقدره عقله ونفر من منطقته ورفض قوائمه السببية.

سليمان: منذ البدء والإنسان يستلذ الكثافة وينفر من اللطافة يستلذ أن يكون ابن الطين اللازب ويكره أن يكون ابن النور، يستلذ الرطوبة والزوجة والعفوية ويكره طهارة النار وتوهج النور، قد يكون السبب في ذلك أنّ الهبوط أسهل من الصعود، والإنسفال أسهل من الإرتفاع، إنه مخلوقٌ عجيب يكره عقله الذي يجذبه الى الأعلى ويعشق غرائزه التي تشده الى الأسفل، يكره القوائن السببية ويستلذ أوهام الفوضى.

جورجيت: ألهدا السبب كلما أتى بعض العقلاء وأسسوا لبناء مجتمعات القانون والنظام والعدالة في تداول السلطة وتوزيع الإنتاج، وتكريس حقّ كل إنسان في العلم والعمل والتطور والإرتقاء، أتى بعدهم فيضٌ من الرجال الذين يزرعون في نفوس الآخرين الإستعلاء والإستكبار وفكرة شعب الله المختار التي تقود الى إغتصاب

حريات وخيرات الشعوب الأخرى وإرتهانها وإستعبادها، ثم تعميم فلسفة القوة والإستئثار بالسلطة والمال.

حسام: يا إلهي كم دفعت البشرية من دموع ودماء وجوع وتشرد وإذلال ثمن أوهام لا تستند الى أي حقيقة يقينية، ففكرة شعب الله المختار التي أعطت البعض الحق بإجتياح بلاد الآخرين وقتل رجالهم وسبي نساءهم وإقتلاع أشجارهم ومزج دم رجالهم بدم كلابهم أليست من الأوهام التي فعلت ما لم تفعله الحقائق، وفكرة العرق المتفوق على عرق، والحضارة المتفوقة على حضارة، إنه تاريخ من الأوهام التي أنتجت التوحش والبربرية والعنف في التفكير والمسلك.

ماري: أكبر وهم دفعت البشرية ثمنه بحراً من الدماء ولا تزال هو وهم الدين الذي يُفرز أتباعه أنهم أشرف الأمم، فهم وحدهم على حق وكل الجميع على خطأ، وهم وحدهم من سيحظون بالجنة والجميع الى نار جهنم، وهم وحدهم أحباب الله وتحت رعايته والجميع أعداء الله وتحت رعاية الشيطان.

منير: كيف تكون الديانات الإبراهيمية كلها سماوية وجدت لتبني علاقات صحيحة بين الإنسان وربّه والإنسان ونفسه والإنسان وأخيه الإنسان، وكلها إنقسمت الى مذاهب كل مذهب فيها يكفر المذاهب الأخرى ويستأثر بالحقيقة لنفسه، ويصارع المذاهب الأخرى بالكلمة والسيف، ويستحل دماء بنيهم وأعراضهم وأرزاقهم وأرضهم ولا يوفر جهداً في إبادتهم إن استطاع، فإذا كانت مذاهب الدين الواحد تفعل ببعضها كل تلك الشناعات فما بالك بصراع الأديان الكبرى وما تفعله؟

صونيا: القصة قصة صراع على السلطة والثروة، وأما الصراع الديني والمذهبي والقومي والأثني، فما هي إلا أقنعة إخترعها الأقوياء لكي يبرروا إرتهانهم للضعفاء، والأغنياء ليبرروا إستغلالهم للفقراء، فالأديان إذا لم تتصورها مصدر عدالة ومحبة وتقارب بين الأفراد والشعوب فلا مبرر لوجودها، إلا كما قلنا أن تكون وسائل يستعملها الأقوياء الأغنياء كمخدر لعقول الضعفاء لتسهيل إستغلالهم وإرتهانهم، والإطمئنان الى ذلك الإستغلال والإرتهان بأنه قدرهم الذي قدرته السماء لهم، وإنّ

الإعتراض عليه مقامرة نتیجتها خسارة ملذات الآخرة دون ضمان ربح ملذات الدنيا.

سليمان: الوهم الكبير الموجود في عقول الناس هو أنّ هذه الحياة الدنيا مملكة الشيطان، فهي قد سميت دنيا لأنها دنية، وكل من يحبها دنيءٌ بدناءتها، والإنسان الشريف يجب أن يشيح بوجهه عنها ويرميها دبر أذنه، هذا الوهم جعل الإنسان يزدوج في نفسيته فهو بواقع جسده وجوارحه منجذب الى الدنيا يعشقها حتى العبادة، وبوهم عقله وخياله مزوّراً عنها يكرهها ويستغفر السماء الدنو منها وكأنه يدنو من جيفة نتنة أو من مرض معدٍ، هكذا وهم جعل الإنسان يكره جسده ويعتبره كهفياً للشيطان، بل يكره عقله ويعتبر التنازل عنه نعمةً من نعم الله عليه، وهكذا فسروا السلام بأنه تسليم الى أحكام القدر وعدم الإعتراض على مشيئته، واعتبروا أنّ الله قد فوّض أمر الدنيا للشيطان عن حكمة، وأنّ من يريد أن يكره الشيطان ويبتعد عن حبائله وحيله عليه أن يبتعد عن الدنيا لأنها مملكته. ونحن اليوم نعلم علم اليقين أنّ كل هذه الأوهام تصب في مصلحة حفنة صغيرة من الناس الذين استأثروا بالمال والسلطة، ووظفوا كل المؤسسات الدينية والمدنية لتضخ هذه الأفكار لتغسل بها أدمغة الجماهير، هل تعتقدون أنه من قبيل الصدفة بمناسبة رأس السنة تروّج وسائل الإعلام للمنجمين والمبصرين والذين يدّعون علم الغيب، أولئك الناس يريدون إقناع البسطاء بأنّ مفاتيح خزنة الأسرار الإلهية في أيديهم، ثم يأتي لاحقاً رجال الدين بنبوءات أنبيائهم وأوليائهم وقديسيهم ليزيدوا الطين بلة بترويج فكرة أنّ بني البشر أجمعين رهائن في يد الشيطان، وأنهم بحاجة الى مخلص يخلصهم وإلا سيبقون الى الأبد رهائن، ولكي يأتي المخلص عليهم أن يسلموا بقدرهم البائس ويكتفوا بأكل الخبز اليابس وشرب الماء الملوّث والسكن في بيوت الصفيح والتبعية لما يريد الكهنة من تقديم آخر ما تبقى في جيوبهم لصندوق المخلص لتمهيد الطريق لمجيئه بالعز والجاه الذي يليق به.

صونيا: فكرة المخلص الذي سيأتي ليملاً الدنيا عدلاً ومحبة كما ملئت ظلماً وكراهية هي بحدّ ذاتها إعتراف وتسليم، إعتراف بأنّ هذه الدنيا مملوءة بالظلم والكراهية، وتسليم أنه لا يمكن للإنسان أن يتحرر من الظلم والكراهية إلا بقوة خارقة تأتي من

عالم آخر خارج هذا العالم، معنى ذلك إلغاء حركة العقل الإنساني الدينامية وحركة إرادته الدينامية المنبعثة من داخله لاستبدالها بحركة تأتي من الخارج، وكلنا يعلم أنّ الشيء الجامد الذي يتحرك بحركة خارجية يتحرك على قدر الطاقة التي قدمتها له تلك الحركة الخارجية، ثم لا يفتأ أن يهدأ ويعود الى سابق جموده.

جورجيت: معنى كلامك هذا أنّ لا حركة تغيير حقيقية إلا الحركة النابعة من الداخل الإنساني، أي من الطاقة المخزنة في عقله وإرادته وعاطفته.

حسام: ولكن الخدر الساري من أجفانك الناعسة صديقتي جورجيت، والدفء المنبعث من إرتعاشة شفثيك والترجرج في ردفيك والتوثب في نهديك يحرك فيّ مشاعر ملونة لا تحصى وأحاسيس متلهفة لا تعدّ، لولا حركة الأنوثة في جمال الحسنات لما تحركت همم الرجال نحو العمل والإنتاج والمغامرة والإبداع والتضحية، أنا شخصياً من أنصار الحركة الخارجية.

ميرفت: ولكن حركتك يا صديقنا باتجاه جورجيت وهي حركة جامحة وطائشة رغم أنها خلاقة ومبدعة، سرعان ما تهدأ لتعود الى سابق جمودك، وبعدها تعود لتفتش عن مصدر جديد للطاقة يحرك حركة جديدة، وهذا هو العبث بعينه، يبقى الشفيح الوحيد لك هو تلك القصائد التي تهبط على مسامعنا وقلوبنا برداً وسلاماً ومتعةً وشروداً، إنها بدورها تحرك أحاسيسنا وتحرر مشاعرنا من كثير من الكبت الذي ورثناه عن ماضينا والذي لا زالت جيناته تعيش في نسيجنا.

منير: أنا أشك أنّ جمال جورجيت بحور عينيها ونهود ثدييها وارتعاش شفثيها هو الذي يحرك حسام، إنّ الجمال المنقوش على مرآة جوهر نفس حسام هو الذي يحركه، وهو لا يفعل إلا أن يُسقط ذلك الجمال على جورجيت فيظنّ أنّ جورجيت هي منبع ذلك الجمال، صدقوني لا يستطيع أن يتذوق الجمال الخارجي إنسان لا تختزن نفسه جوهر الجمال.

سليمان: الجمال تناسق الكثرة داخل الوحدة، وتناغم التنوع داخل الكيان الواحد، ولذلك الجمال هو نظام وتنظيم، إنه ثمرة على شجرة العقل فإياكم أن تعتبروه وهماً

من أوهام الشعراء، لأن الشعر الخالد أثمر حقائق ولم يثمر أوهاماً، فالجمال حقيقة والإثارة وهم، والحب حقيقة والجنس وهم، والصدقة حقيقة والصحة وهم.

صونيا: كيف تكون الإثارة وهماً وكل فنّ التسويق في العصر الحديث يعتمد على الإثارة، محاولة دغدغة الرغبات والشهوات فنّ قائم بذاته في عصرنا هذا وله إختصاصات ومراكز أبحاث، فليس المهم اليوم أن يكون الشيء محقاً أو غير محق مفيداً أو غير مفيد يخدم خير الإنسان أو لا يخدم، المهم هو القدرة على تسويقه وهذا لا يكون بمحاورة العقل والمنطق بل بمحاورة الأوهام والنزوات والرغبات.

جورجيت: ما تقولينه هو الصواب بعينه ومن أهم ثمراته التطور التكنولوجي الباهر والمترافق مع تخلف أخلاقي وإنساني هو الذي ينتج القسوة والعنف والإرهاب على كل الصعيد.

منير: كلما أوغل الإنسان في تقدمه العلمي وتطوره التكنولوجي كلما إزداد توحشاً وبربرية وقسوة، وكلما إبتعد عن إحترام قوانين الطبيعة ومنطق العقل، أليس عجيباً أنه في عصر الأنترنت وغزو الفضاء، والسيارة الكهربائية مئات ملايين الناس تعاني سوء التغذية وتشرب المياه الملوثة وتنام في بيوت الصفيح، ونصف دول العالم تحكمها أنظمة شمولية مخابراتية تصادر حريات الناس وكراماتهم وتحولهم الى أرقام في جداول.

ماري: كان السيد الروماني قديماً مسؤولاً عن إطعام عبيده وإيوائهم وتطبيبهم لكي يؤمنوا له الخدمة المنتجة، واليوم أسياد الرأسمالية والأنظمة الشمولية يستعبدون الناس ويتصلون حتى من مسؤولية إطعامهم، العبيد الجدد أشد بؤساً من العبيد القدامى.

حسام: يعيش الناس في وهم أنّ العصر هو عصر الحرية والديموقراطية والحقيقة إنه عصر العبودية الملبسة بالحرية وعصر الإستبداد الملبس بالديموقراطية، بصمات الأيدي والأعين محصية وفئة الدم وتاريخ الولادة والملف الصحي والمسلكي والأمني وحتى ملف مخالقات السير كلها محصية وتحت أيدي رجال السلطة يستخدمونها ساعة يشاؤون فيفضحون من يريدون فضحه، ويسترون من

يريدون ستره ويبطشون بمن يزعجهم ويكافئون من يعمل لصالحهم، يصادرون العقول ويشجعون الثرثرة ويسمحون للبلغاوات أن تقول ما تشاء ويسخّرون لها وسائل الإعلام ثم يبنذون الحكماء ويعتبرونهم محرضين على التقاليد والعادات، أو زنادقة ثم يحيلوهم على الجماهير التي عقلها في أذنيها لكي تؤدبهم بالنيابة عنها، نحن اليوم نعيش في عالم من الأوهام لم تعرفه البشرية من قبل، القفازات حريرية والقلب من الصخر الجلمد.

صونيا: أسفي على من يعتبرون أنفسهم حكماء الأمة وضميرها الحي كيف يسوّقون أوهاماً قد ندفع ثمنها نصف قرن آخر من الضياع والتخلف، ألا تسمعون كل يوم أحد أولئك الحكماء يسوّق فكرة الديكتاتور العادل، كيف يمكن لرجل يستأثر بالسلطة وأول ما يفعله هو تصفية أصدقائه المنافسين ثم تصفية من لا يوافقه الرأي ثم يصادر العقول والحريات تحت ألف حجة وحجة أولاها تخيير الناس بين الأمن والحرية بعد تخويفهم من أهوال الفلتان الأمني وإيهامهم أنهم إذا أعطوه حريتهم يعطيهم الأمن، عندها يغدو الناس بين قبضة أجهزة مخابراتية تستبيح الأرزاق والأعراض والكرامات وتحول الجماهير الى أبواق وغلما ن وجواري، وتضمحل الثقافة وتستبدل بالشعارات، ويتراجع الإنتاج ويستبدل بالبيانات الكاذبة، ثم بيتكر ذلك الديكتاتور العادل حرباً مع الخارج ليستنهض العصبية القومية باسم الدفاع عن الوطن، تضيع الكرامة ويضيع الوطن.

ميرفت: الوهم الأكبر الذي جرننا الى التخلف والفقير والكبت والعقد النفسية هو وهم أنّ المرأة عورة، وهي ناقصة العقل ولا يوثق برأيها ولا بمسلكها، وهي بحاجة الى ولي أمر وما الى ذلك، ثم بنوا على مقولة عورة أنّ كل عضو من جسد المرأة يثير شهوة الرجل، ولذلك يجب أن تغرق المرأة بالسواد من أعلى رأسها حتى أخمص قدميها، ويجب أن تتجنب مخالطة الرجال إلا المحارم، وهذا الوهم قد شلّ نصف الطاقة الإنتاجية في البلاد الأمر الذي سبب الفقر سواء المادي أو الفكري، وسم نفسية الرجل فهو من جهة يحلم ليل نهار بجسد المرأة ومن جهة أخرى يفتش عن زوجة تعيش في عتمة الجهل والكبت والانحباس في البيت على إعتبار أنها الزوجة المثالية.

منير: وذلك الإقطاع الديني الذي يمتلك أوقافاً بمئات ملايين الدولارات بإسم السيد المسيح الذي كان يمشي حافي القدمين ويحمل شادوحاً أو بإسم النبي العربي الذي قال.. أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد، وليت هذا الإقطاع إكتفى بما لديه فهو يتاجر بالمدارس والمباني والعقارات، ويبتز الفقراء بآخر قرش يمتلكوه باسم بناء دور جديدة للعبادة وما أشبه ذلك.

سليمان: كل مجتمع لا يوجد فيه آلية تربوية تنتج النخب التي تستطيع مواكبة العصر في تطوره وإرتقائه، ولدى هذه النخب رؤية إستراتيجية واضحة ومبرمجة للنهوض، هو مجتمع يخبط خبط عشواء، تتقاذفه رياح الصدف وبالتالي هو مجتمع منفعل وليس مجتمع فاعل، مجتمع مستهلك وليس مجتمع منتج، مجتمع يقلد الآخرين ولا يبدع ما يتلاءم مع خصائصه الذاتية، إنه مجتمع يفكر بعقول الآخرين ويعمل بأيدي الآخرين وينطق بألسنة الآخرين، وهذا ما نراه في بلادنا للأسف الشديد، قلدنا الآخرين في الملبس فأصبحت المرأة عندنا مانيكان ونحن لا زلنا نطالبها بغشاء العذرية، وقلد شبابنا الآخرين فلم نعد نعرف إن كانوا رجالاً أو نساءً أو جنساً جديداً، كيف تترجى خيراً من مجتمع تعطلت فيه قوى الإبداع؟

جورجيت: أنت تظلم بلادنا بكلمة مجتمع، فالمجتمع هو مجموعة من الناس تعاقدوا فيما بينهم على نهج ينتهجوه، فعرفوا معنى التعدد داخل الوحدة عندما تفاعلوا مع بعضهم حتى أصبحوا نسيجاً واحداً، كجسم الإنسان كل خلية فيه تشعر بفرح وألم الخلايا الأخرى، وكل خلية لها عملها المنوط بها الذي يتكامل مع أعمال الخلايا الأخرى، وكل خلية تأتمر بأمر الدماغ المسؤول عن تنظيم العمل والقيادة، نحن يا صديقي تجمع وليس مجتمع، ومن الوهم أن نتصور تجمعنا قد وصل الى مرحلة المجتمع، نحن كحبات رمل الشاطيء متلاصقة ولكن لكل حبة كيانها الخاص بها والمنفصل عن كيان الحبات الأخرى، بعضنا يفرح لأحزان البعض الآخر، وبعضنا يقوى على حساب ضعف الآخر، وبعضنا يشقى على حساب سعادة الآخر، فكيف نكون مجتمعاً؟ حتى إذا قلنا نحن وطن نكون قد عشنا في وهم جديد فالمواطنة لها قوانينها ومفاهيمها وفلسفتها الواضحة المعالم، نحن بكل بساطة تجمع طوائف وقبائل وعائلات.

حسام: طالما أننا نتحدث عن الأوهام دعوني أسألكم سؤالاً محرّجاً، لماذا نطلق على الإنسان الذي يدعي أنه طهر نفسه من زوائد شهواته والرغبات المحمومة والمشاعر الشاذة لقب قديس أو قديسة، ولا نطلق على الإنسان الذي استطاع عملياً وبالشاهد المنظور أن يطهر جسده من زوائد الشحوم واللحوم ويجعل الجسد كالسهم المتهيء للإطلاق إلى الأعلى بشفافيته والرشيقة بالحركة بمرونته وطواعيته لقب قديس أو قديسة؟ مع العلم أنّ من يقول بتطهير نفسه من زوائد الشهوات كشهوة الملكية والسلطة والتحكم بمصير الآخرين وإغتصاب الآخرين نفسياً والتلذذ بتبعية الناس له ناهيك عن شهوات الجنس والشرة والتعدي والمأكل والمشرب حتى يصبح المرء كرسالة التربيع والتدوير، إنّ من يقول ذلك قد يكون كاذباً ومنافقاً وممثلاً، وقد يكون عندئذ إعطاه لقب قديس أو قديسة تزويراً للحقيقة. بينما الذي يطهر جسده من زوائد اللحم والشحم والكثافة والتصلب براهينه يقينية ظاهرة للعيان لكل الناس، ألم نقل سابقاً أنّ الجمال هو إزالة الفضلات وإعادة الشيء إلى التناغم مع قوانين الطبيعة، وأنا أرى أنّ أكثر من طوبوا قديسين وأولياء مخالفين لقوانين الطبيعة، وأولئك إذا أردنا أن نقيمهم حسب قوانين الطبيعة كانت نتيجة التقييم أنهم شذاذ آفاق، بينما من اشتغلوا على أجسادهم وطهروا أجسادهم من فضلات الشحم واللحم والتبليس تناغموا مع قوانين الطبيعة في نتاجها للجسد البشري، وهم حسب منطق العقل وحدهم الجديرون بلقب قديسين وأولياء.

سليمان: لا وهم في تاريخ البشرية يعادل وهم الفرقة الناجية الذي اجتاحت كل الديانات الإبراهيمية، فكل أتباع دين من هذه الديانات اعتبروا أنّ من كل الفرق التي إنقسم إليها دينهم هناك فرقة واحدة لا غير ناجية ومكافأتها الجنة والعودة إلى الفردوس المفقود، وباقي الفرق إلى نار جهنم وبئس المصير، وعلى هذا الأساس تخاصموا بالكلمة واليد والسيف لأن كل واحد منهم كان يعتبر نفسه الفرقة الناجية، اقرأ تاريخ المسيحيين وما فعلوه باليعاقبة والنساطرة قديماً وما فعله الكاثوليك بالبروتستانت حديثاً، ثم اقرأ كيف تفرع البروتستانت إلى فرق كل واحدة منها تسفه الفرق الأخرى، وكذلك الكاثوليك أما في بلادنا فأخر مذبحة سجلها التاريخ بين المسيحيين كانت مذبحة المقوقس لأبناء الإسكندرية المتشبهين بعقيدتهم الأرثوذكسية والرافضين

لمذهب الملكانية الذي ابتدعه هرقل آخر أباطرة بيزنطية قبل الفتوحات الإسلامية. أما في الإسلام فيكفي أن نرى ماذا فعل الخوارج في صدر الإسلام والعصر الأموي والمذبحة التي فعلها أبو مسلم المزياني لإيصال العباسيين الى الحكم، وكيف كان أهل السنة والإسماعليين يتقاتلون والمغول يجتاحون البلاد، وكيف كان الفاطميون والعباسيون يتقاتلون والصليبيون يجتاحون البلاد، وكيف بعض أبناء العراق وسوريا ولبنان اليوم يستقوون بالغرباء على أهل وطنهم، كله تحت تأثير مخدر الفرقة الناجية.

صونيا: مربط الفرس أنّ الإنسان كره النور وأحب الظلمة، كره منطق العقل وأحب الأوهام والخرافات والغيبيات، كره أن يكون ابن النور وأحب أن يكون ابن الصلصال اللزب، إنه الإنسان الذي يستلذ تعذيب نفسه وتعذيب الآخرين إنسان يهرب من العدالة التي فيها خلاصه وخلاص الآخرين.

ميرفت: غريبٌ أمر هذا الإنسان يكره أن يعيش في مجتمع ويحب أن يعيش في تجمع، يكره أن يعيش منظماً مطمئناً ويحلو له أن تتلاعب به رياح الفوضى ويكون على قلق دائم، ألم يعبر عن هذه الفكرة الشاعر الخالد المتنبي وهو يقول:

على قلق كأن الريح تحتي تسيّرني يميناً أو شمالاً

سليمان: الغريب في الأمر أنه في الشرق الأوسط القديم وبلاد اليونان والرومان، كان الناس ولآلاف السنين يعبدون آلهة متعددة ويدينون بأديان مختلفة " وهي التي سميت باطلا بالوثنية " وقامت في تلك البلاد حروب كثيرة إتسمت جميعها بالمحدودية، ولم تشهد تلك البلاد حرباً واحدة نشبت أساساً لسبب ديني، بمعنى أنه لم تحارب دولة أو جماعة من أجل نصره إله على حساب إله آخر وعقيدة أخرى، فلا مصر القديمة حاربت الحوثيين لإجبارهم على عبادة آمون، ولا اليونان غزت العالم القديم لتعم عبادة زيوس، ولا الفرس بسطوا سلطانهم على الشرق ليروجوا لدينهم الزرادشتي أو المزدكي، ولا البابليين فرضوا على غيرهم عبادة مردوخ وعشتار، وكذلك الفينيقيين مع عشتروت وأدونيس، وكأن الأقدمين كانوا يدركون أنّ لله

تجليات مختلفة عبر الزمان والمكان، ولا يصح الخلاف والجدل حول صحة بعضها وبطلان بعضها الآخر، فلنسمع إيزيس إلهة وادي النيل تقول في ترنيماتها التي وصلت إلينا: " أنا الأم الكونية سيدة العناصر كلها عُبدت بطرق شتى، وأطلقت عليّ أسماء كثيرة، لأن جميع أهل الأرض يقصدني."

ونحن إذا قرأنا تاريخ الإمبراطورية الرومانية وفتوحاتها وجدنا أنّ كل إقليم يُفتح كان إلهه يُضم إلى مجمع الآلهة الروماني في تآخ وإنتحاح يتيح لأي مواطن روماني أن يعبد الإله الذي يشاء. ولم يدب التعصب والتقاتل وفرز الناس إلى مؤمن وكافر إلا بعد أن تنصرت الإمبراطورية الرومانية على يد قسطنطين في القرن الرابع فبدأت الإنشاقات والتناوب بين بطاركة الإسكندرية وأنطاكية وأثينا وروما، وبدأت النزاعات والمذابح الدينية، وأسطورة الفرقة الناجية التي وصلت إلى ذروتها في الإسلام مستندة إلى حديث نبوي الكثير من الفقهاء يعتبرون إسناده غامضاً إلى حد بعيد.

جورجيت: شرقتم وغربتم في عالم الوهم ولم تفرعوا باب ذلك المصنع الكبير الذي زرع من الأوهام في عقول البشر ما لم يزرعه غيره، أعني بذلك التاريخ.

كم قرأت في هذا التاريخ من أوهام عجيبة، فالأضواء مثلاً تُسلط حتى تغدو ساطعة على تحرير القدس من قبل الأيوبيين وطرد الصليبيين منها سنة ٥٨٣ هـ ولكن التاريخ يخفي في عتمة صفحاته كيف أنّ الأيوبيين أنفسهم أعادوا القدس إلى الصليبيين كهدية وعربون صداقة سنة ٦٢٨ هـ. والتاريخ يسلط أضواء ساطعة على الثورة الفرنسية وما نشرته من مبادئ الحرية والإخاء والمساواة وما فعلته في محاولة إستئصال الإقطاعيين السياسيين والدينيين، ولكن التاريخ يضع في العتمة ماذا فعل الأوباش والسوقة بإسم الثورة من تخريب وسلب ونهب وظلم وإستبداد ونشر للفوضى والبلطجة، وما عادت أفرزته الثورة من أنظمة ديكتاتورية عاتية ترحم الناس بوجودها على عهد الملكية وأصبحت العودة إليه حلم الكثيرين. وهذا التاريخ المخادع كيف صور ما فعلته الثورة البلشفية في الإمبراطورية الروسية بأنه تحرير للجماهير من نير العبودية وخبأ في عتمته ما صنعه الثورة من آلام وفضائح ومجاعات وإبادات، وما سببته من إنهيارات

أخلاقية وإنسانية، قارنوا أيها الأصدقاء بين الأدب الروسي أيام القيصرية والأدب الروسي أيام الشيوعية لتكتشفوا لعبة الأكاذيب والأباطيل التي عاش فيها الشعب الروسي موهمين إياه بأنه أقوى قوة في العالم ويوشك أن يكون سيد هذا الكوكب. وهو في حقيقة الأمر جائع محبط، الأستاذ الجامعي مستعد أن يبيع أسئلة الإمتحانات بزجاجة ويسكي، والأستاذة مستعدة أن تهب جسدها لقاء بنطلون جينز، أما عن أكاذيب التاريخ وأوهامه فيما يتعلق بالشرق الأوسط منذ ثورة عبد الناصر مروراً ببعث العراق وسوريا ومعرجاً على الثورة الإيرانية فحدث ولا حرج.

صونيا: وكما بدأنا الحوار ننهيه الأوهام مهما كبرت واستبطرت لا تستطيع الصمود طويلاً، إذا توجهت نحوها أنوار العقل والمنطق، فالصحيح هو ما صحّ في العقل. الجميع: الصحيح هو ما صحّ في العقل.